رسالة بعثها إلى أحد أصدقائه يصف فيها طبعه فيقول: «ثم هنالك شيء آخر إخالك لم تلتفت إليه، هو طبيعتي التي تميل إلى عدم الأخذ بما يأخذ به الناس جميعاً من أوضاع، هرباً من الوقوع في الابتذال، وشعفاً جنونياً بالتميز والإغراب، ففي لبسي لا أرتدي كما يرتدي الآخرون، ولا أدخن، لأن التدخين عادة عامة، وربما دخنت لو انقطع الناس عن التدخين، ولا أهدي إلى حبيبتي الأزهار الجميلة، ولا العطور اللطيفة، بل أهدي إليها ببغاء في قفص»[18].

وفضلاً عن هذا فإن الحكيم يعتقد أنه لم يرث هذه الملامح النفسية وحدها عن والديه، بل ورث أيضاً ميولاً فنية: كانت أمه تقرأ «سيرة عنترة»، وقصص «ألف ليلة وليلة»، وخاصة أثناء مرضها، وكانت تقص على ابنها توفيق الذي كان ينصت بشعف واهتمام جعله يعيش هذه القصص بكل وجدانه[19]. وكان أبوه يحب الشعر ويحفظ منه الشيء الكثير، وخاصة «المعلقات السبع» التي كان يترنم بأبياتها، ويحمل ابنه على حفظها وفهمها وتفسيرها. ويذكر الحكيم في هذا المجال أن أباه ضربه يوماً على وجهه ضربة أسالت الدم من أنفه، لا لشيء إلا لأنه لم يستطع أن يفهم معنى مفردة وردت في بيت من معلقة «زهير بن أبي سلمى»[20].

وإذا كانت الميول الفنية لأبويه قد تحطمت وكبتت فيهما من جراء الأعباء المنزلية والمادية التي تفرض نفسها عليهما فرضاً[21]، فإن بذرة هذه الميول الفنية كانت تبحث عن متنفس لها في الطفل توفيق الحكيم، تارة عن طريق حب الموسيقى، وتارة عن طريق ممارسة فن الرسم، وأخيراً وجدت جوها الملائم في فن الأدب، وخاصة المسرح، فنمت وترعرعت وأثمرت.

هذا، ويرى الحكيم نفسه أن هذه الملامح النفسية التي ورثها عن أبويه كانت بمثابة القيد الذي لايستطيع منه فكاكاً، أو كانت بمثابة جدران تسجنه، ويحاول دوماً أن يتسلقها، وأن يفلت من أغلالها دون جدوى. وكانت هذه الموروثات تضايقه كثيراً حتى أننا نراه يؤكد أنه لايعيش حياته إلا في نسبة